

احلام الفارس الحزين دونكي خوتا

ان على المنطق ان يتسع ليشمل اللامنطقي
البروفيسور القيزيائي ف . موريسون

مبعنة عشرات الامتار من م . كانت الاسطوانة بحجم طائرة صغيرة لكن بدون جناحين ، واشبه شيء بصاروخ . تكور م في مكانه ، وادح وجهه الذي النهب بحمي مفاجئة فوق المشب البارد ، وقال : الهى ، ما هذا ! يكون ذلك لانني فكرت اكثر من اللازم بمغامرات ذلك المذب المسكين خوتا .. ؟ رفع م رأسه ، ورأى الاسطوانة وقد صارت بلون المشب تماما .. وكان من المحال ان يميزها الانسان من احدى التلال الخضراء المنتشرة في المنطقة . انفتح باب بشكل دائري في منتصف جسم الاسطوانة ، واطل جسم اشبه شيء بأخطبوط بحجم قرد ، وبسرعة غريبة قفز فوق الارض ، واقترب من م . احاطت مجموعة اذرع بكتف م الذي اغمي عليه في هذه الاثناء ورفعت جسد م عاليا .. وعندما اتاق وجد نفسه في غرفة مخبرية نظيفة امام لوحة عليها مئات الاسلاك ، والازرار ، والساعات الصغيرة ، والاضواء الملونة ، والات دقيقة .. رش الجسم الاخطبوطي الذي ادخل م في الاسطوانة سائلا باردا على وجه م . افاق م اكثر وشعر بانتعاش حاد ، وقوة ورغبة ملحة في المتابعة والاستفسار . رأى مجموعة اجسام باحجام القردة الاعتيادية لها عشر اذرع طويلة ومكسوة بشعر . وذهل م من قوة تلك السيوف التي احس بها قبل ان يقمى عليه . كانت الاذرع تنتهي باصابع صغيرة حمرها بلون منقار الببغاء . كانت الاذرع تحمل جسدا مخروطيا مكسوا بشعر غزير ، وفي منتصف الجسد عين واحدة تشع بضوء يعلو ويخفت ، وتأخذ احيانا الوانا كثيرة .. انفض السائل م ، ولم يعد يحس باي خوف ، بل اكثر من هذا ، ان م شعر بان هذه الكائنات رائعة ، ولطيفة ، وغير مؤذية ... كانت الاجسام تتهاوس مع بعضها بصوات تشبه ضربات آلة موسيقية .. ارتاح م فوق مقعده الاسفنجي قبالة اللوحة . لمس احد الاجسام زرا ، وظهرت شاشة بحجم جهاز التلفزيون ، وبضربة خفيفة على زر اخر، ظهرت على الشاشة بجميع اللغات الجملة التالية :

اي من هذه اللغات تجيدها قراءة وكتابة .
وما ان ظهرت اللغة العربية ، حتى اشر م باصبعه الى الحروف، وهز رأسه . اقترب جسم اخر من م ، وسحب ثلاثة اسلاك من اللوحة لف احدها حول رأس م ، ودس النهاية المطاطية للسلك الاخر في اذنه ، بينما ربط نهاية السلك الاخر فوق لسانه .. كان مذاق السلك مربوط بلسان م حلوا ، ولذيذا ، وذا نكهة طيبة مما جعل م يمصه . بعد لحظات ظهرت فوق الشاشة الجملة التالية !
- كل ما تفكر به ، او تريد ان تقوله ، او تحس به يظهر على

اعتاد (م) ان يخرج مرة ، او مرتين في الاسبوع في ايام الربيع الى ظاهر البلدة ، ومعه رواية او مسرحية ، ويتجه بامتداد الطريق الرئيسي الى قرية صغيرة فيها مجموعة بيوت طينية محاطة باشجارالتوت، والجوز . في تلك القرية الصغيرة ، وفي مشاهدة التلال والوديان الخضراء ، والزهور ، والنبات البرية ، كان م يحس بروح الربيع . هذا الربيع الفلاشي الذي يأتي مثل سقوط نيزك .. وفي القرية وبعد ان يحتسي ملء طاسة من اللبن البارد ، يستلقي ويروح في غفوة قصيرة . وعندما يفيق يبدأ بقراءة مئة صفحة من الكتاب الذي يحمله معه . ومع حلول المساء يتجه الى الشارع ويبارح القرية بأحدى سيارات المصلحة ، او يستمر في المشي ..

ذات مساء ، وبعد ان انتهى قراءة الصفحات المئة الاخيرة من رواية دونكي خوتا ، ترك القرية مشيا ، وظل اسافة طويلة يفكر باحزان ، واحلام ، وسقطات الفارس النبيل دونكي خوتا .. وحتى عندما كان يضحك لبعض مغامراته ، كانت الدموع تنحدر من عينيه .. قال في نفسه :

« مسكين ! حتى احلامه كانت معارك .. ترى لماذا ؟ وكيف تأتي لهذا المذب فكرة اعادة العدل الى الارض .؟ من اين كان يستمد هذا العالم الهزيل الجسد كل تلك الارادة الفولاذية ، والانضباط النفسي الصارم في المواقف اللامتوقعة التي كان يقم نفسه فيها ، او تلك التي كان يقم فيها رغما عنه ؟ »

كان م يتكلم مع نفسه وهو يسترجع الصور التخيلية في صفحات الكتاب لوجه دونكي خوتا المرهق النحيل ، ولرقبته الهزيلة ، وعينه المتقدتين . وفجأة غمر الشارع الخالي ، والسهول المترامية دوي عنيف مثل قصف رعد خريفي . جفل م للحظات ونسى دونكي خوتا ، واخذ يبحث عن مصدر الدوي .. انفجر الدوي ثانية اهتز على اثره م ، وشعر بخوف شديد ، وما ان استرجع انفاسه ، حتى قال في نفسه : بالتأكيد او سمع دونكي خوتا مثل هذا الصوت لمس يده بسرعة الى سيفه .. لماذا كان لا يخاف .؟ ما معنى الخوف ؟ وما ان انتهى م الكلمات الاخيرة حتى انفجر الدوي بعنف هائل ، ورأى جسما اسطوانتي الشكل فوق رأسه من خلال ضباب شفيف . انقطع الدوي ، وانقشع الضباب بهدوء ، وتجسد الجسم الاسطوانتي في ضوء الشمس المائلة الى الغروب بلون الفضة المجلية .. تسمر م في مكانه ، وعاوده الخوف بقوة اكثر ، وجلس لا اراديا ثم تمدد فوق بطنه ، ودحرج جنعه المشلول خارج الطريق وضاع في العشب . دارت الاسطوانة حول م ، وحطت برفق فوق مرتفع في السهل على

الشاشة ، وتلقى له ردا مكتوبا بسرعة .

اندهش م ، وقال في نفسه : « لا معقول . »

قرا شريعته للشعب .. سجلنا هذا الاحتفال حوالي ١٥٢٠ من تاريخ

ارضكم .. »

- مستحيل .. مستحيل ..

- انس هذه الكلمة . اول مرة جئنا ارضكم كانت خالية من المخلوقات نهائيا ..

- لم لا تتصلون بعلماء الدول المتقدمة علميا ؟

- كوكبكم متأخر ولديكم مشاكل صبيانية كثيرة . ربما بعد مئة عام .

- لكننا وصلنا القمر ، والمريخ ، والزهرة .

- وصلناها قبل ١٨٢٤٩٦٥٧٨٩ سنة ارضية من ظهور الحيوانات فوق كوكبكم .

- لماذا لا تغزون ارضنا ؟ ..

- ليست لدينا اية مطامح في عالمكم الصغير ..

- هل لديكم مستعمرات في كواكب اخرى ؟

- لدينا اتصال مع الف كوكب ، ولم نجد في قواميس مخلوقاتنا هذه الكلمة سوى عندكم .. نحن نلقي بفائض حاجتنا عبر صواريخ ضخمة الى اجرام اخرى ..

- ما هذه الاشياء الفائضة ؟

- نحتاجون لمئة سنة او اكثر لتكتشفوها ..

- الا يمكن ان افهم ؟ ..

- يمكن اذا بدلنا تكوينك الفسيولوجي كليا . السائل الذي رشناه فوق وجهك مثلا ، يجعلك يقظا وقويا لعشرين سنة مقبلة ..

- ان افهم عالم كيميائي ارضي لا يستطيع فهم معادلتها ..

- الفائض الذي قذفتموه .. ما هو ؟

- سائل من ثلاث قطرات تجعل كائنات ذاك الكوكب لا يحسون بالجوع لعشر سنوات ..

- مستحيل !

- انتم تقضون معظم سنوات عمركم في النوم والاكل والراحة . ثلاث وجبات تجلسون الى المائدة تثرثرون ، وتشغطون الحساء ، وتمضغون الاكل ، وبعد ساعة من الثثرة والمضغ تدور رؤوسكم ، فتستلقون لتأخذوا فغوة ، وفي الليل تنامون ست ساعات . هذه نكتة ننشر بها في كوكبنا .. مع اننا لا نعرف معنى للكسل ، لكن اذا تأخر الواحد للحظات مثلا في اداء عمله قلنا له ، تحرك ايها الكائن الارضي .. لو جمعتم ساعات الاستلقاء ، والاكل ، والنوم ، واداء الطقوس الدينية لوجدتم انكم اكسل جميع المخلوقات التي في الكواكب ..،...، التي فيها حياة .

- وهل حقا توجد حياة في الكوكب ..،...، ١ ؟

- طبعاً .

- ولديكم اتصال وزيارات مع الجميع ؟

- مع ربع العدد . ثمة كواكب ارقى منا .. نحن نواصل جهودنا .

- اسمع ! وانتم الا تنامون مثلنا ؟

- ابدا .. النوم مفهوم ارضي .. النوم اكبر تعطيل ونحطيم للقدرات .

- ستتغلبون على عدم النوم بعد مئة عام .

- الا نحسون بالنوم مطلقاً ؟

- اذا احسنا به ثمة جهاز في تركيبنا يعوضنا عن الحاجة اليه بسرعة .. وبعد صمت طويل جاهد (م) الا يفكر في اي شيء ، وان دار في خلدك سؤال ملح : لماذا انتم بهذا الشكل . فجاءه الجواب على الشاشة فوراً .

- ظروف كوكبنا اوجدت لنا هذه الاشكال . مثلما تبون لنا في اشكال مضحكة ، كذلك نحن نبين لكم مضحكين . اذرع كثيرة وقوية

وعلى الشاشة ظهرت كلمة لا معقول .. اراد م ان يضحك ، ظهرت ذئبسات مثل الخيوط البيانية .. قال في نفسه ، لكنني لسم اضحك بعد ... اردت ان اضحك .. وقرا على الشاشة ما قاله مع نفسه . اقترب احد الاجسام ، واخذ رواية دونكي خوتا التي حار م كيف احتفظ بها ، وادخلها الجسم بميكانيكية في آلة بحجم آلة تسجيل ، وفي لحظات ظهرت فوق الشاشة .

- هذه الرواية اصلها اسباني ..

- هل تعرفون جميع اللغات ..

- كل لغة موجودة فوق كوكبكم نعرفها .. هل تجيد لغات اخرى .

- قليلا من الانكليزية ، والفرنسية ، والارمنية ، والاشورية ، والكردية ..

- وجميع هذه اللغات رحبوا به . وسألهم م من يكونون ، ومن اين جاؤا .

- وقرا م فوق الشاشة : نحن من مجموعة الكواكب التي لن نتوصلوا الى اكتشافها حتى بعد مئات السنين . ان اسم كوكبنا $187.924582 \div 243 \times 51348$.. انه كوكب بعيد .. ان فهمكم للسرعة ، والزمن ، والتلاشي هزيل .

- وما معنى هذه الارقام ؟

- نحن نتكلم بالارقام .

- الا يمكنك ان تترجم لي الارقام الى اسم ؟ . اريد ان اعرف اسم الكوكب .

- لا يوجد لها معنى في مفرداتكم ..

- ولا حتى في مفردات اللغات المتطورة ؟

- اللغة الانكليزية مثلا . لغة فبيرة ، وكذلك بقية اللغات الارضية بالنسبة للفتنا .

- كم مرة جئتم الى كوكبنا ؟

- مئات المرات ..

- لم ؟

- لاسباب علمية .. هل تريد ان ترى بعض احداث كوكب ؟

- قلت في نفسي : « مستحيل .. »

- وظهرت على الشاشة - ارجوك لا تنفصل .. برفق .. برفق . ان كلمة « المستحيل » مثل الكثير من القضايا سوف تبقى ترافق مفرداتكم مئة سنة اخرى ..

- لماذا مئة سنة اخرى ؟

- الزمن الذي في اعتقادنا يمكنكم فيه ان تنجزوا اشياء جيدة .

بعد لحظات ظهرت على الشاشة مواكب كبيرة ، وجهاهير في ملابس ملونة ، نساء جميلات يحملن باقات كبيرة من زهور البراري ، ورجال بلحي طويلة يلوحون بايديهم ، وفتيات صغيرات يؤدين شعائر دينية ، وهتافات من عشرات الوف الحناجر . فوق محفة ضخمة يجلس رجل نحيف جامد الوجه : الموكب يسير وسط زغاريد النساء ، ورقصات الرجال الدينية . يصل الموكب ساحة كبيرة . توضع المحفة بجلال فوق الارض . ما ان يدوس الرجل الارض بقدميه حتى تنحني الظهور ، وتلامس معظم جباه الحضور الارض .. يصعد الرجل الحزين الوجه درجا ، ويتجه الى مرتفع . تتبعم ثلة من الرجال . فوق ارض مرمرية يسرون خلف الرجل . يقترب الرجل من نصب جداري ويتكلم .. سال سعيد : من يكون هذا الرجل ؟ فاجابت الشاشة بعد ان انقطعت الصور : « انه حمودابي يوم

لان طبيعتنا الصعبة والفنية احتاجت الى العمل المستمر والدؤوب .
لدينا صلابة ، وتحمل ، وخلود . وصرخ م بفزع - الاموتون !!?
- ابدا .. انتم تسيخون وتموتون عندما تبدأ الغدة الصماء في
اجسادكم بفرز هرمون النيهوسين .
- ولا تسامون الحياة الطويلة ؟
- اذا سئم الواحد منا يتناول فرصا وينام لعشر ، او عشرين
سنة .

- دون ان يتعفن !!?
- ابدا .. القرص فيه كل امكانات المحافظة على اجسادنا من
التعفن ..

- حسن ، اذ كنتم بهذه السرعة من التطور العلمي ، كيف يمكن
للذي يفيق بعد عشر سنوات ان يواكب التطورات ؟
- تعباً في راسه عن طريق آلات معقدة .. بالضبط مثلما تعبنا
الانثاني في الاسطوانات .
- ما قيمة علم لم يتعب الكائن في تعلمه ؟

- اي ضمير طالما انه يعرفه ، ويتقنه بعد التعبئة ؟.. انها مسألة
وقت .. هل حقا يضير شيئاً لو مثلا استطاعت آلة ان تعلمك جميع
نظريات عالمك انشأتين في نصف ساعة ؟. ان الوقت عندهم بسرعة
الرز في اسيا ، وبوفرة الملبات في اوربا ..
- هل تأكلون الرز ؟
- ابدا ..

لم يجد م ما يقوله لهم ، فقال بانفعال :
- لم انتم بهذا التعقيد ؟
- ولم انتم بهذه البساطة ! تاكد عندما تصلون الى نفس تطورها
ستجدون اننا بسطنا كل شيء ..
- للمناسبة ما هي لغتكم ؟
- نحن نخلصنا من الحروف .. كوكبتكم هو الوحيد الذي يستعمل
الحروف .

- كيف تتفاهمون اذن ؟
- بالارقام ..
- كيف تقول مثلا انني سعيد .
- لا توجد كلمة سعيد في قاموسنا .
- لماذا ؟
- لاننا سعداء منذ الالف السنين .. هذه الكلمة ارضية بحتة ..
- وكلمة شقي ؟
- هي الاخرى ارضية .
- قل اي شيء بلفتكم ... اي شيء ..
- لكنك لا تفهم ..
انفعل م كثيرا ، وتوتر ، فاذا بالشاشة تكتب ، لا حاجة للنتور ،
والانفعال ...

- انتم تعرفون اصغر حدوساتي .
- بل حتى قبل ان تحدها ..
- وي ... وي ... اي الهة انتم !. اكتب لي كلمة ، حب ،
في لغتكم ..

- الحب كلمة تعود في لغتنا الى ربع مليون سنة . نحن نعيش
في حب اذلي .. شيء مهين ومضحك لو قلت لكائن في كوكبي انني
احبك .. لان جبي للجميع وبعمق امر مفروغ منه .. نحن لا نستعمل
هذه الكلمة .

- حسنا .. اكتب كلمة حرب ..
فجأة اطلقت الاجسام الواقفة على طرفي م اصواتا شبيهة بعزف
خافت على آلة الكمان ، وظهرت على الشاشة :

- معذرة لم نستطع الا ان نضحك .
- وهل ضحكتم فعلا .. اهكذا تضحكون ؟
- نعم .
- مثل رنين الموسيقى .. لماذا ضحكتم ؟
- لكلمة - الحرب - . في مختبرات اللغات في كوكبنا ، فان
اجهزنا التي تتصل باعداد غفيرة من الكواكب ، تنقل الينا كلمة
الحرب من كوكبكم فقط .. انظر ..

وبحركة سريعة وعبر ضغط خفيف على مجموعة ازرار ظهرت
على الشاشة نقاط سريعة وواضحة ليوليوس فيصر وهو وسط معركة
.. حصن ، رماح ، جنود ، فرقة سيوف ، جثث ، بلال ، نيران .
وقفعة . هجمة مفولية عنيفة .. ذبح ، اطفال ، نساء ، شيوخ يهربون
.. حوافر جياد تدوس على الجثث ... وقفعة . لقطات سريعة من
هجوم المدفعية الكلاسيكية .. نابليون يرسل نظراته النارية من فوق
حصانه .. اشتعال غابات .. وقفعة .. لقطات من الحرب العالمية
الاولى ، والثانية ، وحرب كوريا ، وفيينام .
قال م صارخا : - كفي ! ارجوكم ! .

توفقت الصور فوق الشاشة ، وظهرت الكلمات التالية :
- كان هذا مونتاجا سريعا للحروب التي صورناها على كوكبكم
.. مثل هذه المجازر المضحكة توجد على كوكبكم فقط ..
- حينذا لو اهديتهم جميع هذه التسجيلات لكوكبنا .
- ربما ، يوم نجد لغة مشتركة بيننا .. بعد مئة سنة .. نهديها
لاجيالكم المقبلة .. سوف يتسلى بها اطفالكم مثلما يتسلون بافلام
الكارتون ..

- هل لديكم تسجيلات لجميع احداث كوكبنا ؟
- اجل .. منذ الخليقة ، وحتى الان .
اراد م ان يقول : « هل ستأخذونني معكم ، ام ستتركونني » ..
وجاهه الجواب :
- سوف نترك الان .
- والى اين تتجهون ؟

- بعد ربع ساعة سوف نكون فوق كوكب عطارد ، ونميسل الى
الكواكب اللامرية ، وفي الليل نكون في بيوتنا .. وبدهشة مجنون
فال م ، بعد ربع ساعة فوق كوكب عطارد .؟ مستحيل ! ..
- يمكنكم بعد مئة سنة وعبر عمل متواصل ان تصلوا كوكبنا ..

كان الوقت ليلا عندما انزلوا م برفق من الاسطوانة ، دون ان
يهمسوا ولو بنامه .. ركض م عشرات الامتار ، وعندما التفت الى
الخلف رأى ضوءا صغيرا يرتفع ويذوب في السماء اللامتناهية ..
وففز م في اخر سيارة متوجهة الى المدينة .. كان ما زال يحس
بانعاش قوي ، وتذكر انه نسي رواية دونكي خوتا داخل تلك
الاسطوانة المعقدة ...

كركول - العراق

مكتبة النوري

دمشق - تجاه البريد العام

وكيلة منشورات دار الآداب وكبرى

دور النشر اللبنانية والعريسية في
القطر السوري .